

## الجوارى فى الشرع

الرقيق الرومانى

قامت الحياة الاجتماعية فى مختلف المدن والبلدان والعصور على وجود طبقة من الرقيق ، ووجود سيد فاتح قاهر غنى ، وعبد مستضعف ذليل ، يكدر فى سبيل مولاه . وليس نخلو مجتمعنا من هذه الطبقة إلا حدثاً معاصراً لنا . لأن تحرير الرقيق أمر اضطرب به القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ، ولا يزال فى كثير من بقاع العالم أثر من رق وبقية من استعباد ، وما انفكت بعض المنظمات العالمية ناشطة فى محاربة مثل هذه التجارة الراجحة .

أما المدن القديمة فقد أقرت الاستعباد ، ورأت فيه نظاماً طبيعياً لا قيام لحياة الفاتح والسيد إلا به ، فأخذت به الشعوب الغالبة ، وشرعت لهذه الطبقة من الناس قوانين تنظم حياتها ، وتحدد واجباتها ، ولا تعنى بحقوقها إلا فى القليل النادر .

ولم يكن لدى الرومان باديء الأمر إلا عدد يسير من الرقيق .

غير أن الفتوح التي قامت بها جيوشهم فيما بعد أدت إلى الاستيلاء على عدد كبير منهم، وعرضهم في أسواق الرقيق بحيث بلغ ما حمله أحد القواد إلى بلاده مائة وخمسين ألفاً دفعة واحدة . وكانت جموع الرقيق رجالاً ونساء يدخلون المدينة الخالدة صفوفاً صفوفاً في مواكب القواد المظفرين ، وبينهم كثير من بنات الملوك والأمراء والقواد المسبيات ، وقد بيع منهم في دبلوس الجزيرة اليونانية عدة آلاف في يوم واحد . ومنذ ذلك الحين انتشر الرقيق في المجتمع الروماني حتى طغى عدده على الأحرار بعد أن اشترى هؤلاء المئات والألوف للقيام بما تطلبه الحياة الاجتماعية من أعمال . فيقيم المتعلمون وذوو الاختصاص بالموسيقى والغناء والطهي والخدمة قرب مواليتهم ، وينصرف ماتبقى منهم ، وهم الأغلبية الساحقة إلى الحقول فيعنون باستنباتها لحساب أسيادهم ، أو يعملون في المناجم ومقالع الحجارة أو المحارف ، وتقوم النساء بما قامت به الجوارى من الأعمال في المدينة العربية فيما بعد .

كانت معاملة الرقيق في غاية السوء ، لأن الشرع الروماني يعرض له كما يعرض لشيء من الأشياء أو سلعة من السلع . فهو كما يقول مؤرخ لاتيني « آلة تجيد الكلام » إذا هفا هفوة صغيرة نزلت به أشد العقوبات ، كالضرب بالسياط والسجن . لهذا كانت الثورة تختمر في صدور هذه الطبقة ، فتنشب الحروب

بينهم وبين أسيادهم ، وتنتهى المعارك فى أغلب الأحيان بالفتك بهم وتعذيبهم ، وتسلبهم القليل مما حصلوا عليه من الحرية . أما إذا رضى السيد عن عبده فبوسعهُ أن يعتقه . فيتقيد العبد المحرر عندئذ ببعض العلائق بسيدهِ السابق شبيهة بحقوق الولاء عند العرب ، وينعم العبد المعتوق بحق التملك والتصويت ، ولكن أحفادهم وحدهم يصبِحون مواطنين يتمتعون بامتيازات وحقوق الأحرار كاملة .

### فى الشرع الإسلامى

أما فى الشرع الإسلامى فالجارية هى كل امرأة أخذت أسيرة فى الحرب ، أو نقلت قسراً من بلاد العدو ، على شريطة أن تكون غير مسلمة ، لأنه لا يجوز ، لأى سبب من الأسباب ، أن تسمى المسلمة وتسترق ، ولا عبرة فى ما ذهب إليه جماعة القرامطة أو غلاة الخوارج ، أو هى التى تلدها أمة مملوكة ، ويكون أبوها عبداً ، أو غير مالك لها ، مسلمة كانت أم كتابية ، أو هى التى تؤخذ شراء من أسواق الرقيق ، فبيعها فيها النخاسون . وهؤلاء ليس بوسعهم استرقاق المسلمات أو الكتابيات الذميات اللواتى يعود أصلهن إلى ديار الإسلام ، وإنما يأتون بالرقيق من البلدان الغربية ، ويتاجرون به . لأن

الإسلام حرم السبي منذ قضاؤه على عادة الغزو المتأصلة في نفوس البدو . ولا شك أن الإسلام قد ارتقى بالمرأة ارتقاءً بيناً عند ما حفظ لها حريتها بتحريمه اختطافها . في حين أن الشرع الإسرائيلي يجيز لليهودي أن يستعبد يهودياً آخر لمدة معينة لا تزيد على ست سنوات ، إلا إذا ألح العبد على البقاء في كنف مولاه ، فله أن يحتفظ به . وقد جاء في سفر الخروج ما نصه : « إذا انتعت عبداً عبرانياً ، فليخدمك ست سنين ، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً ، وإن دخل وحده فليخرج وحده ، وإن كان ذا زوج فليخرج زوجه معه ، وإن زوجه مولاه بامرأة فولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لمولاه ، وهو يخرج وحده ، وإن قال العبد قد أحببت مولاي وزوجي وبنى لأخرج حراً ، يقدمه مولاه إلى الله أو إلى مصراع الباب أو قائمته ويثقب مولاه أذنه ، فيخدمه إلى الأبد . وإن باع رجل ابنته أمة ، فلا تخرج خروج العبد ، وإن كرهها مولاه الذي خطبها لنفسه يدعها تفك ، وليس له أن يبيعها لقوم غرباء ، لأنه قد غدر بها » (١) .

(١) التوراة ، سفر الخروج

## أحوالهن الشخصية

وضع أصحاب المذاهب الفقهية والمشرعون قوانين تنظم حياة الجوارى وأحوالهن الشخصية ، وكل ما يعود إليهن من رق وعتق وزواج وطلاق . نتج عنها أن اللقيطة حرة في جميع أحكامها ومسلمة ، ولو كان ملتقطها ذمياً ، ما لم توجد في مقر أهل الذمة وكان ملتقطها غير مسلم . في الحالة الأولى تنشأ على الإسلام ، وتكون حرة ، وينفق عليها من المال الخاص باليتامى والمساكين . وتتزوج وتنعم بجميع الحقوق المدنية العائدة إلى بنات جنسها ، دون أن تمس الحاجة إلى معرفة والدها ، والسبب في تركها على قارعة الطريق ، أو رميها على أبواب المنازل . وفي الحالة الثانية ، أي إذا عثر عليها في منطقة يقطنها النصارى أو اليهود أو المجوس يعهد بها إلى طائفة الملتقط ، فتعنى بأمرها ، وتسهر عليها ، وتكون حرة مطلقة كجميع الذميات الحرائر .

أما الجارية التي تولد للمسلم من أمته فتكون حرة إذا اعترف بها والدها ، وفي مثل هذه الحالة يجب على المولى أن يكتب صكاً ليلحقها به ، ويكون نصه كما يلي :

« أقر فلان بأنه كان قبل تاريخه وطئ مملوكته التي بيده ومذمة المقررة له بالرق والعبودية ، المدعوة فلانة ، الفلانية

الجنس ، الوطاء الصحيح الشرعى ، واستولدها ولدأ ( ذكرأ أو أنثى ) يسمى فلانأ ، الطفل يومئذ ، وهو الآن فى قيد الحياة ، وأنه من صلبه ونسله ، ونسبه لاحق بنسبه (١) .

فاذا ولدت الجارية لسيدها أصبحت أم ولد ، فلا يجوز بعدئذ أن يبيعها أو يهبها ، وتصبح حرة بعد موت زوجها ، فلا يرثها الوارثون ، ولا يستدها الدائنون . وهذا الوضع يخالف كل المخالفة ما يقره الشرع المسيحى من منع اقتراب الرجل من أمته ، لأنه يعد ذلك زنى صريحأ ، فيحمل الولد عار والده طول حياته ، وتخول الزوجة الشرعية أن تبيع الجارية أو تقصيها عن المنزل . ويخالف أيضاً الشرع الرومانى الذى يقرر أن المولود تابع لحالة الوالدة من حيث الرق .

والأولاد الذكور والإناث الذين يعترف بهم المولى المسلم يرثون والدهم أسوة بإخوتهم وأخواتهم الذين ولدوا من الحرائر . وكثيرأ ما كان السيد يحرر أمته أم الولد ، ويتزوجها زواجأ شرعياً رفعاً من شأنها وشأن أولاده منها ، فتتمتع بجميع الحقوق الخاصة بالزوجات الحرائر . وإذا ما حررت الجارية تمهيدأ لعقد النكاح الشرعى فبوسعها أن ترفض الاقتران بمولاها السابق ، وعندئذ تخرج من عصمته ولا يحق له أن يعيدها إلى ملكه ، بل

تطلق حرة . من القيود التي فرضها الشرع في معاشره الجوارى ما فرض على الزوج من تحريم الاقتراب من أختين ، والأم وابنتها والعمه وابنة أخيها وغيرهن من ذوى الرحم المحرم ، جرياً على السنة المتبعة في النكاح الرسمي ، كما أنه حرم على رجلين أن يشتريا جارية فيقتربا منها معاً ، لأن الشرع يعاقب على مثل هذه الفعله ، ويعتبرها زنى صريحاً .

كان بعض الأحرار يتزوجون جوارى لسن ملك أبيهم ، بعد أن يدفعوا لأسيادهم الصداق المترتب عليهم . وفي مثل هذه الحالات يحدد الشرع الشروط التي يجب أن تتم في الحر الذي يود الزواج من أمة غيره . فيقضى أن لا يكون متزوجاً بجمرة ، وأن لا يكون لديه مال يكفي لصداق حرة ، وأن يخشى عليه من التهور في حياة المجون ، بحيث يكون هذا الزواج أخف مؤونة عليه من زواج الحرائر ، وأحفظ لنفسه ودينه ، ويكتب صك بهذا النص :

« هذا ما أصدق فلان فلانة مملوكة فلان ، المقره لسيدها

بالرق والعبودية ، عند ما خشى على نفسه العنت - الفجور والزنا - أو خاف الوقوع في المحذور ، لعدم الطول ، وأنه ليس في عصمته زوجة ، ولا يقدر على صداق حرة على ما شهد له به من يعينه في رسم شهادته ، صداقاً تزوجها به مبلغه كذا وكذا ،

وولي تزويجها إياه بذلك سيدها المذكور بحق ولايته عليها  
شرعياً .

ويذيل بالفقرة التالية التي تضاف على العقد :

« وشهدت البينة أن الزوج المذكور فقير ليس له موجود  
ظاهر ، ولا مال باطن ، ولا له قوة على نكاح حرة ، ولا في  
عصمته زوجة ، وأنه عادم للطول (١) » .

أما إذا زوج السيد أمته لعبده فيكون النص كما يأتي :

« هذا كتاب تزويج أكتبه فلان لعبده فلان من أمته  
فلانة ، المقر له كل منهما بالرق والعبودية ، وهو أنه أشهد  
على نفسه أنه زوج عبده المذكور لأمته المذكورة تزويجاً  
صحیحاً شرعياً بسؤال كل منهما لسيدته المذكور في ذلك . وقبل  
الزوج المذكور من سيده عقد هذا النكاح لنفسه قبولا شرعياً » .  
وليس من اعتبار لإذن الأمة في مثل هذه العقود ، ولا يعين  
الصداق ، لأنه يعود إلى السيد عند وجوده ، وفي مثل هذه  
الحالات يكون الأولاد الناتجون عن الزواج ملكاً للمولى ،  
يتصرف بهم وبوالديهما كما يريد . غير أن الشرع الإسلامي  
قيد السيد في حرته بتحريمه التفريق في المبيع بين الزوج  
وزوجته والوالدين وأبنائهما . .

## طبقاتهن

إذا ألقينا نظرة شاملة على الجوارى من حيث موقف الشرع  
منهن رأينا أنهن ينقسمن إلى طبقات متعددة : منهن التى تسترق  
طول حياتها ، ثم تباع أو تورث فيما بعد ، ومنهن التى يبيعها  
مولاهن أو يهبها فى حياته ، والتى تلد له فتتحرر بعده ، والتى  
يوصى بعقتها حين وفاته ، فلا يجوز بيعها ، وتكتب لها الوثائق .  
وكان بعض الأسياد يعتقدون جواريتهم أو عبيدهم مقابل مبلغ  
يدفع لهم منجماً ، حتى إذا استوفى المولى القيمة المتفق عليها  
أصبحت الجارية حرة ، وتسمى هذه الحالة المكاتبه . ويكون  
العقد بالنص الآتى :

« كاتب فلان مملوكه ( أو مملوكته ) الذى بيده وملكه المقر  
له بالرق والعبودية المدعو فلاناً ، الفلانى الجنس ، المسلم ،  
لما علم فيه من الخير والديانة والعفة والأمانة ولقوله تعالى « فكاتبوهم  
إن علمتم فيهم خيراً » على مال جملته كذا وكذا ، يقوم به منجماً  
فى سلخ كل شهر كذا وكذا وإبراه منه . . . وأذن له سيده فى  
التكسب والبيع والشراء ، فمتى أوفى ذلك كان حراً من أحرار  
المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، لا سبيل لأحد عليه

إلا سبيل الولاء الشرعى ، ومتى عجز ، ولو عن الدرهم الفرد ،  
كان باقياً على حكم العبودية (١) .

فإن وفى العبد (أو الجارية) مال الكتابة كتب ما مثاله :  
« أقر فلان بأنه قبض وتسلم من مملوكه فلان المسمى باطنه  
جميع المبلغ المعين . . . وهو كذا وكذا على حكم التنجيم .  
وصار ذلك بيده وقبضته وحوزة . فبحكم ذلك صار فلان حراً  
من أحرار المسلمين على ما تقدم . ويؤرخ (٢) . »

وإذا تزوج رجل حر أمة بغير إذن مولاهما يكون الزواج  
ملغى ، لأن المولى هو المسؤول عنها . أما إذا أعتقها السيد بعد  
العقد . فيكون التحرير إمضاء للزواج وإجازة له .

وللمولى أن يكره أمة أو عبده على الزواج بمن يريد . أما  
الأمة فلأن نتاجها لمولاهما ، فهو إنما يعقد على ملك نفسه  
بتزويجها ، وله ولاية العقد على ملك نفسه بغير رضاها كما لو  
باعها . وأما العبد فللمولى أن يزوجه من غير رضاه فى شريعة  
أبى حنيفة النعمان ، وليس له مثل هذا الحق عند الإمام  
الشافعى .

(١) نهاية الأرب ج ٩ ص ١١٣

(٢) كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسى - على مذهب أبى حنيفة

النعمان - مصر ١٣٢٤ هـ ح ٥ من ص ١٠٨ إلى ١٣٢

أما إذا تزوج رجل امرأة على أنها حرة ، ثم علم بعد ذلك أنها أمة قد أذن المولى لها بذلك فهي امرأته، إن شاء أمسك وإن شاء طلق ، لأن ظهور رقها نوع من أنواع العيب ، غير أن ما ولد له منها فهو حر . وإن كان الزواج تم بدون تصريح المولى فلهذا أن يستردها ويعقرها .

### المراجع الإفرنجية :

Paul Allard, Exclavage, serfs et mainmortable, Paris 1883 - Clarisse Bader, La femme romaine, Paris 1877 - La femme grecque, Paris 1872 - H. Wallon, Histoire de l'esclavage dans l'antiquité, 3 vol. Paris 1879 - Arthur Weigall, Sappho de Lesbos, Payot, Paris 1932 - La beauté antique  
Encyclopédie de l'Islam

## الفهرس

صفحة		صفحة	
٣٧	تكاثرهن		أخدر العربي
	جوارى الحمامات	٥	جنة العربي
٤٠	الحمامات	٧	حدود الحمام
٤٣	استخفاء الحمامين	٩	البيضاء المفضلة
٤٥	رجال الشرطة	١١	السوداء المستلطفة
٤٧	الحمامات الريفية	١٤	الليل المنسدل
٤٩	خمارتا الواثق	١٧	الغلاميات
٥١	شروط الكمال	١٩	التجمل
٥٣	زينة الحانات		الرقيق
٥٦	خداع الجوارى	٢٣	مصادر الرقيق
	الجوارى المثقفات	٢٥	رحلات النخاسين
٦١	تعليمهن	٣٠	أنواع النخاسين
٦٣	الأدبيات الشواعر	٣٢	أنواع الجوارى
٦٦	تخرجهن في الغناء	٣٣	أسواق الرومان
٦٧	أثر الغناء	٣٥	أثمانهن

صفحة	صفحة	
	٧١	سلامة وعامل المدينة
	٧٣	الأخذ عن النوابع
٩٧	٧٥	تلميذة معيد
٩٩		جوارى القصور
١٠١		أبناء الجوارى
١٠٢	٧٩	تفردهن
١٠٦	٨٣	أديانهن
	٨٦	والدة الأمير القسرى
١١٢	٩٠	إخلاصهن
١١٤	٩١	متبع
١١٦	٩٢	
١٢٠		

## وقى سلسلة اقرأ

### المزید عن المرأة

- نساء صغيرات للأستاذ مبارك إبراهيم
- نساء محاربات للسيدة صوفى عبد الله
- الصديقة بنت الصديق للأستاذ عباس محمود العقاد
- عائشة بنت طلحة للأستاذ كمال بسيونى
- العاشقة المتصوفة للسيدة وداد سكا كينى
- بنت قسطنطين للأستاذ محمد سعيد العريان
- المرأة فى شعر البحترى للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

خدا المعارف دار المعارف

## وفي سلسلة **اقرأ**

المزيد في مثل هذا الموضوع

- قصر الرشيد
- قطر الندى
- سيدة القصور
- نديم الخلفاء
- شجرة الدر
- أمير قصر الذهب
- قصة ملكة سبأ
- للدكتور طه الحاجري
- للأستاذ محمد سعيد العريان
- للأستاذ علي الحارم
- للأستاذ عبد الستار أحمد فراج
- للأستاذ محمد سعيد العريان
- للأستاذ طاهر الطناحي
- للدكتور زاهر رياض

